الأُصُولُ الثَّلَاثَة

للإمام المحدث

محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن عمر بازمول

- حفظه الله -

معهد الميراث النبوي

الدرس التاسع

من

شرح الأصول الثلاثة

بِسْمِ اِللهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوْذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ .

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ الله وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار .

أما بعد :

فقد سبق معنا في الأصول الثلاثة ما يتعلق بأنواع العبادات التي تكون لله وحده لا شريك له والتي عدَّدها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب -رحمه الله تعالى- مبينًا أدلتها ومبينًا أن صرفها لغير الله شرك ، وكما نعلم جميعًا أن هذه الأصول الثلاثة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - هي معرفة العبد ربه ومعرفة العبد دينه ومعرفة العبد نبيه .

وقد ذكر كما مر معنا سابقًا فيما يتعلق بالأصل الأول في معرفة العبد ربه ذكر

- كيف عرف العبد ربه ؟

- ومن هو ربه ؟

فربه الذي رباه وربى جميع العالمين بنعمه ، فهو معبوده ليس له معبود سواه .

والدليل قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ([1]

وأيضًا ذكر كيف عرف العبد ربه ؟

فعرفه بآياته ومخلوقاته ، فذكر الدليل على ذلك .

ثم بين أن الرب ﷻ هو المعبود ، وكما قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ؛ فالذي خلق الشمس والقمر والليل والنهار والذي خلق السماوات والأرض والذي خلقنا وخلق الذين من قبلنا والذي جعل لنا الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج من الثمرات رزقًا لنا هو المعبود ﷻ وهو المستحق لهذه العبادات .

ثم كما مر معنا بين - رحمه الله تعالى – أنواع العبادات ، بين - رحمه الله تعالى- أنواع العبادات التي أمر الله بها من الإسلام والإيمان والإحسان وأيضًا الدعاء والخوف والرجاء ، وقد مر معنا ما يتعلق بالدعاء وما يتعلق بالخوف .

واليوم - إن شاء الله تعالى- ندخل فيما يتعلق بالرجاء حيث قال - رحمه الله تعالى - مبينًا دليل الرجاء ؛ فقال ودليل الرجاء قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ([2]

([1]) سورة الفاتحة (1)
([2]) سورة الكهف (110)

الرجاء عبادة قلبية ؛ والرجاء هو رغبة القلب وطمعه في الحصول على شيء مرجو ، يقول ابن القيم " حقيقة الرجاء : الخوف والرجاء فيفعل ما أُمر به على نور الإيمان راجيًا للثواب ويترك ما نُهي عنه على نور الإيمان خائفًا من العقاب "

والرجاء ثلاثة أنواع :

النوع الأول : رجاء رجلٍ عمل بطاعة الله على نورٍ من الله فهو راجٍ ثوابه .

النوع الثاني : ورجل أذنب ذنوبًا ثم تاب منها فهو راجٍ مغفرة - الله تعالى - وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه كما قال ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى - .

فهذان النوعان من الرجاء ؛ رجاء رجلٍ عمل بطاعة ، ورجاء رجلٍ أذنب ذنوبًا ثم تاب ، فمن عمل بالطاعة يرجو ثواب الله ﷻ ، ومن عمل بالمعصية يرجو مغفرة الله ﷻ وعفوه وإحسانه ، هذان النوعان هما نوعان محمودان .

النوع الثالث : رجاء رجلٍ متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب .

كما قال ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى- : (والعبد في هذه الحياة الدنيا عليه أن يسير ويجمع في سيره بين الرجاء والمحبة ، بين الرجاء والخوف ؛ فيجمع بين المحبة والرجاء والخوف ولا تحصل العبودية لله إلا بهذه الثلاث ؛ فالرجاء عبادة قلبية لها مكانتها ولها عظيم أثرها على العبد) .

يقول ابن القيم الجوزية : (قوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسماءه وصفاته ؛ يعنى كلما كان العبد أعرف بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته كلما تعلق قلبه به وكلما ازداد رجاؤه لله ﷻ) .

لذلك الشيخ - رحمه الله تعالى - ذكر الرجاء ونص عليه فقال :
ودليل الرجاء قوله - تعالى - : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ فمن كان يرجو لقاء ربه ؛ أي أن يلقى الله ﷻ فيلقى ثوابه ووعده فليعمل عملا صالحا يعنى فليعمل عملا خالصا لله ﷻ متابعًا لسنة النبي ﷺ وهو العمل الشرعي الذي أُمر به العبد ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ؛ أي لا يقع في الشرك بأن يشرك مع الله أي أحدٍ كائنا من كان ؛ لأن قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ، ﴿ أَحَدًا ﴾ كما قال العلماء : نكرة يدخل فيها كل أحد ، فلا يجوز للعبد أن يشرك بالله ﷻ أي أحد كائنا من كان .

وفي قوله ﷻ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾

العمل الصالح ما هو ؟

ليس العمل الصالح أن تتقرب إلى الله ﷻ بما شئت وبما تظنه أنه من العبادة وإنما العمل الصالح كما سبق .

أنه ما اجتمع فيه شرطان :

الشرط الأول : أن يكون خالصًا لله ﷻ .

الشرط الثاني : أن يكون متابعًا لسنة النبي ﷺ .

والعبد عليه أن يعلم يقينا أن الأمور كلها بيد الله ﷻ فلا يرجو أحدًا إلا الله ، ولا يعلق قلبه بأحدٍ إلا بالله ﷻ لذلك يقول شيخ الإسلام

ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (وما رجا أحدٌ مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه) ، وقال أيضًا : (إذا تعلق بالمخلوقين ورجاهم وطمع فيهم أن يجلبوا له منفعةً أو يدفعوا عنه مضرة فإنه يخذل من جهتهم ولا يحصل مقصوده) إلى آخر كلامه - رحمه الله تعالى - .

ثم ذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر الرجاء ذكر التوكل فقال : ودليل التوكل قوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿ ٢٣ ﴾([3] وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿ ٣ ﴾([4] .

التوكل على الله : هو الاعتماد عليه ﷻ في جميع الأمور وأن العبد يستسلم لأمر الله ﷻ ويعتمد عليه ، والتوكل على الله ﷻ تظهر فيه معاني التوحيد ويظهر فيه صدق تعلق القلب بالله ﷻ فهو فريضةٌ وعبادةٌ يجب إخلاصه - لله تعالى - وهو من أفضل العبادات .

فالتوكل على الله حقيقته أن القلب يتعلق بالله ﷻ مع أخذه بالأسباب وعدم اعتماده عليها ، التوكل على الله ﷻ هو أن يتعلق قلب العبد بالله ﷻ مع أخذه بالأسباب وعدم الاعتماد عليها لابد أن نفهم هذه الأمور :

أولًا : أن قلب العبد متعلق بالله ؛ لأنه يعلم أن الله ﷻ هو الذي بيده الأمور كلها ، وأن الله ﷻ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا يعني تعلق القلب بالله ﷻ أن العبد لا يعمل

([3]) سورة المائدة (23)
([4]) سورة الطلاق (3)

بالأسباب ولا يأخذ بها وإنما الله ﷻ أمرنا أن نأخذ بالأسباب ومع ذلك إذا أخذنا بالأسباب لا نعتمد عليها بمعنى لا نظن أن الأسباب هي التي - يعني - تحقق لنا النفع أو تدفع عنا الضر بل هذا بيد الله ﷻ وحده ﷻ.

والتوكل على الله ﷻ كما يقول ابن القيم الجوزية - رحمه الله تعالى - في كتابه الفوائد ؛ التوكل على الله :

نوعان **أحدهما** : توكل على الله في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية .

والثاني : التوكل على الله ﷻ في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه .

قال : وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله ؛ أي في نوع ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه كفاه النوع الأول تمام الكفاية ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا لكن لا يكون له عاقبه المتوكل فيما يحبه ويرضاه .

قال : فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول ﷺ .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - كما سبق : **ودليل التوكل قوله - تعالى - : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾** .

قوله ﷻ **﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾** ، أي على الله اعتمدوا وهذه الآية تفيد أننا نعتمد على الله ولا نعتمد على غيره .

فإن الاعتماد على الله ﷻ هو من صفات المؤمنين وهو من العبادات التي يحرص عليها كل مؤمن ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ ؛ أي لا تتوكلوا على غيره ، فالمسلم يفوض أمره إلى الله ﷻ ، وقوله - تعالى - ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ؛ أي ومن يعتمد على الله ﷻ ويتوكل عليه في أمره دينًا ودنيا فإن الله هو حسبه ؛ (**حسبه**) بمعنى أن الله ﷻ هو كافيه ، فمهما حاول أن يؤذيه من يؤذيه من الأعداء فمادام أن العبد متوكل على الله ﷻ فإنه لا يضره شيء بإذن الله - تعالى- إلا شيءٌ قد قدر عليه ومع ذلك فإنه محفوف بالحفظ واللطف والرعاية من الله ﷻ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور ولهذا قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) انتهى .

لكن كما سبق مع مراعاة الأخذ بالأسباب وأيضًا مع مراعاة أن لا يعتمد على هذه الأسباب ويعتقد أنها تنفع وتضر بنفسها ؛ بل العبد يبذل الأسباب ويسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد حتى يمتثل أمر الله ﷻ وحتى يحقق معنى التوحيد وحتى - يعني - إذا أتى بالتوكل فإن الله ﷻ ينصره وإن الله ﷻ يوفقه ويسدده ، ولذلك كثيرٌ من الناس في حوائج الدنيا لما يطلبوها من غير الله فإنهم - يعني - قد لا يوفقون لها إذا كانت قلوبهم معلّقة بغير الله ﷻ وأما إذا كانت قلوبهم معلقة بالله ﷻ فإنهم بإذن الله - تعالى- يوفقون ؛ ولذلك الله ﷻ أمرنا بالتوكل عليه في آيات كثيرة .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴿٩٠﴾ ([5]

الرغبة والرهبة والخشوع من العبادات القلبية التي ينبغي للعبد أن يصرفها لله ﷻ .

فالرغبة : هي طلب الوصول إلى الشيء المحبوب .

والرهبة : هي الخوف من أمرٍ يُفزع المرء مما يثمر الهرب من الأمر المُخوِّف ، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : (إذا أراد الله بعبده خيرًا وفقه لاستفراغ وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه ، فإنهما مادتا التوفيق ، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق) .

والخشوع : هو الذل لعظمة الله ﷻ ، والخشوع قد يكون في القلب وقد يكون في الجوارح .

والله ﷻ أثنى على عباده الصالحين ، وأثنى على أنبياءه - صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين - حيث قال : ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ ؛ أي هؤلاء الأنبياء وهؤلاء الصالحون ﴿ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ ؛ يعني يبذلون كل ما في وسعهم للحصول على الخيرات ، وعلى مرضاة الله ﷻ فيتسارعون ويتسابقون .

والخيرات : المراد بها الطاعات التي أمر الله ﷻ بها والتي جاءت بها الرسل والأنبياء .

([5]) سورة الأنبياء (90)

ولذلك هذا ينبغي أن نلحظه دائمًا في النصوص الشرعية ؛ أن الحث على العمل الصالح والحث على الطاعات إنما المراد به الطاعات التي أمر الله ﷻ بها كما قال - عز شأنه - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٦٤﴾ ([6]

إذًا كانوا هؤلاء الأنبياء والصالحون يسارعون في الخيرات ، وكانوا أيضًا .

مـــــاذا ؟

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ يدعوننا **رغبًا :** يعني يدعوننا يطلبون الثواب من الله ﷻ وهم يأملون من الله ﷻ الثواب وحسن المآب والخير من الله ﷻ ، ﴿ رَغَبًا ﴾ ﴿ وَرَهَبًا ﴾ أيضًا يخافون ألا تُقبل أعمالهم ، يخافون أن يكونون مقصرين مع الله ﷻ ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ .

ولذلك ينبغي للعبد أن لا يغتر بطاعته ، وأن لا يغتر بصلاحه ، فيظن نفسه أنه من عباد الله الصالحين الذين قد وفقوا للخير ؛ لا لابد أيضًا من الخوف ؛ لابد يخافون من الله ﷻ ، يخافون من التقصير ، يخافون من العقاب .

﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ يعني أن هؤلاء الأنبياء والرسل والصالحين كانوا خاضعين لله ﷻ متذللين له ﷻ وفي ذلك كمال العبادة لأن العبادة هي كمال المحبة مع كمال الذل ، فالله ﷻ أثنى على هؤلاء الأنبياء والصالحين بهذه الصفات ؛ فإذا كان هذا حال الأنبياء

([6]) سورة النساء (64)

والصالحين فينبغي لمن دونهم من العباد أن يمتثلوا مثل هذا الحال ؛ الرغبة والرهبة والخشوع إلى الله ﷻ .

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - ودليل الخشية قوله - تعالى - : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴿١٥٠﴾ ﴾ [7] .

الخشية : بمعنى الخوف إلا أن الخشية فيها معنى الخوف بأدق ، قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [8] لم يقل إنما يخاف الله من عباده العلماء .

- لمـــاذا ؟

قالوا **لأن** خشية الله ﷻ مقرونة بمعرفته وعلى قدر المعرفة تكون الخشية ، ولذلك الخشية من العبادات القلبية العظيمة وهي من أوائل ما يُرفع من الأرض والخشية مثمرة عن العلم.

ولذلك الفرق بين العلماء وبين الزهاد الذين لا علم لهم ؛ أن العلماء أهل خشية لأنهم أهل معرفة بالله ﷻ ، وأما الزهاد فأهل خوف إذا كان زهدهم مبنيٌّ على مجرد الخوف لا على العلم بالله ﷻ ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ) [9].

فالله ﷻ يقول : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ فالخشية لله ﷻ فلا تخشوا أي أحد من دون الله ﷻ .

- لمـــــاذا ؟

([7]) سورة البقرة (150)
([8]) سورة فاطر (28)
([9]) صححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (2685)

- **لأنه** ليس بيدهم شيء إنما الأمور كلها بيد الله ﷻ فالله ﷻ هو أهل الخشية ، هو أهل لأن يُخشى وأهل لأن يُتقى ﷻ ، وقد جاءت الخشية في صفات المؤمنين في آيات متعددة في كتاب الله ﷻ كما قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[10]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾ ؛ أي يخافونه ويحذرونه ويحذرون عذابه وعقابه وسخطه **بماذا يحذرونه ؟ بمجرد الخوف ؟** لا ؛ **بالعلم الشرعي** فيتعلمون الطاعات فيعملون بها ويتعلمون الأمور التي نهى عنها فيجتنبوها .

ولذلك أثنى الله ﷻ عليهم هذا الثناء العاطر ، بل قال الله ﷻ كما مر معنا ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

ثم ذكر ﷻ أيضا في كتابه قال : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[11]، فمن تمام نعمة الله ﷻ علينا أن يكون العبد متعلقا بالله ﷻ متوجها إليه ، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ **ولعلَّ** كما قال ابن عباس " من الله واجبا " .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فريق صيانة السلفي معهد الميراث النبوي

([10]) سورة الملك (12)
([11]) سورة البقرة (150)